



التخصص في العمل وفقًا للمهارات الشخصية (رؤية إسلامية)



وجيه السيد البنا
باحث اقتصادي

السلام، ومن الملاحظ أن صفة الحفظ والعلم هنا جاءت بصيغة المبالغة لتدل على أن من يتولى هذه المهام ليس أي حافظ أو أي عالم، بل هو شديد الحفظ والعلم، كما يتضح كذلك أن صفة العلم مشتركة في المثاليين السابقين، دلالة على وجوب ملازمتها فيمن يتولى أمر الناس.

وفي موقف آخر، وقبل أن يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه «داود» عليه السلام أن يتقن صناعة الدروع فيقدر حلقاتها بدقة (أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدْرٌ فِي السَّرْدِ) سورة سبأ الآية ١١، فقد منح الله المهارات التي تعينه على هذا الإتقان، حين قال في الآية السابقة لهذه الآية (وَأَتْنَا لَهُ الْحَدِيدَ) سورة سبأ الآية ١٠.

ويشير القرآن الكريم في موضع آخر إلى أهم الصفات المطلوبة عند اختيار العامل الذي سيقوم بالخدمة البدنية وسيخالط أهل البيت، وذلك عندما وصفت الفتاة سيدنا موسى عليه السلام طالبة من أبيها أن يستأجره (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) سورة القصص الآية ٢٦، فالقوة والأمانة هنا تمثلان أهم الصفات المطلوبة في العامل بالنسبة لأهل البيت، خاصة وأن الفتاة لم تعرف بعد قدره العظيم وأنه نبي.

ونختم هذه الفقرة بسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم إذ يخبرنا عن مهمته فيقول «إنما بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»، وبالتالي ما الصفات اللازمة لمن يتقلد هذه المهمة الجليلة؟ إنها كما يذكرها الله سبحانه وتعالى مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم الآية ٤.

فما أكثر الأمثلة التي يشير القرآن الكريم فيها إلى أهمية التخصص في العمل وفقاً للمهارات، حتى إن السؤال عن شيء ما يوجهنا القرآن الكريم

يعتبر التخصص في العمل على أساس تفاوت المهارات الشخصية من الدعائم الأساسية لتقدم أي أمة أو مؤسسة.

لذا كان الإسلام سابقاً بتعاليمه نحو المناداة بهذا النوع من التقسيم الدقيق للعمل، بل جعله عبادة يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى، إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ» (أخبره أبو يعلى والطبراني، وصححه الألباني). وبالطبع لا يمكن للفرد إتقان عمله - على نحو يرضاه الله تعالى - دون امتلاك مقومات هذا العمل من مهارات مختلفة.

وفيما يلي نحاول التطرق إلى بعض الأمثلة التي تؤسس لهذا النوع من التخصص، وذلك في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة.

أولا القرآن الكريم:

عند اختيار الله سبحانه وتعالى لمن يتولى أمراً، نرى مهارات الفرد ملائمة لنوعية العمل الذي سيقوم به، فنرى مثلاً اختيار «طالوت» كملك يقود اليهود لملاقاة أعدائهم العماليق (جالوت وجنوده)، نجد القرآن يصف هذا القائد العسكري في سورة البقرة (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) الآية ٢٤٧، فكان العلم والقوة الجسمانية صفات ملائمة لقائد سيقوم بقيادة جيش لملاقاة أعدائه.

بينما أبرز سيدنا يوسف عليه السلام صفاته المناسبة لتوليه خزائن الأرض حين قال ملك مصر (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) سورة يوسف الآية ٥٥، فكانت صفة الحفظ (بما تتضمنه من: الأمانة والرعاية والدقة المتناهية)، وكذلك العلم، يمثلان أهم الصفات التي تتطلبها طبيعة العمل الذي سيقوم به سيدنا يوسف عليه

أن لا نسأل إلا المتخصص (الخبير) في هذا الأمر، فيقول سبحانه وتعالى في أكثر من آية: (فَأَسْأَلُ بِهِ خَبِيرًا) سورة الفرقان الآية ٥٩، (فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) سورة الأنبياء الآية ٧، (وَلَا يَنْبِئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) سورة فاطر الآية ١٤.

ثانيًا: السنة النبوية المشرفة:

حينما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة كان أول ما أمر به بناء المسجد، ثم سأل عن السوق فدلوه على سوق اليهود، فأمر بإقامة سوق خاصة بالمسلمين، وهذا دليل على أهمية وجود اقتصاد خاص بالمسلمين يستمد مفاهيمه ونظرياته من الشريعة الإسلامية، وبالطبع سيكون ذلك نهضة للبشرية جميعًا، فما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رحمة للعالمين.

وفي إطار موضوعنا، وضع النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ هامًا في التخصص في العمل هو أنه ليس تقلد المناصب بالأقدمية أو السبق للإسلام، ولكن وفقًا للمهارات التي تتطلبها كل وظيفة، هكذا تعامل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في قيادته للدولة الإسلامية، فنجد على سبيل المثال الصحابيَّان خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص - رضي الله عنهما، رغم دخولهما المتأخر في الإسلام، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاهم قيادات جيش المسلمين عقب إسلامهم، فولى عمرو بن العاص عقب إسلامه جيش المسلمين في ما يُعرف بسرية ذات السلاسل، لمواجهة تهديدات الكفار بغزو المدينة، وكان من بين الجيش كبار الصحابة والسابقين إلى الإسلام، كما تُقِبُّ النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بسيف الله المسلول، لبلائه الحسن في غزوة مؤتة، وجعله قائدًا على أحد الجيوش الأربعة في فتح مكة، وأميرًا على العديد من السرايا لدعوة القبائل للإسلام.

وفي المقابل عندما طلب الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوليه على بعض شئون المسلمين، ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكبِهِ ثم قال: «يا أبا ذر إنك رجل ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها» (أخرجه مسلم ١٨٢٥).

وعندما جاء عبد الله بن زيد رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقص عليه رؤياه

فيما يتردد في الأذان للصلاة، قال له صلى الله عليه وسلم: «إن هذه لرؤيا حق فقم مع بلال فإنه أندى وأمد صوتًا منك فأتق عليه ما قيل لك وليناد بذلك»، فنجد هنا من قام بالأذان ليس من رآه في الرؤيا - أو صاحب الفكرة بلغة العصر - بل من هو أجدر على التنفيذ لأن هذه المهمة تحتاج إلى إمكانات صوتية بالأحرى.

كما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم التخصص في العمل بعدًا مهمًا وأفقًا أوسع، وهو الاستعانة بغير المسلمين - إذا دعت الضرورة أو الحاجة إلى ذلك - كما حدث في الهجرة، حيث استعان صلى الله عليه وسلم بأحد المشركين ليدله على الطريق المناسب إلى المدينة، وغيرها من المواقف التي تشير إلى أهمية إسناد الأمر لمن هو أجدر به، حتى وإذا اختلفت الثقافات أو العقائد.

وإعلاءً لهذا النهج في التخصص كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لاحظ تفوق أحد الصحابة في أمر ما، شهد صلى الله عليه وسلم له بذلك فيكون هذا الصحابي مرجعًا في هذا الأمر بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له، وفي ذلك أمثلة كثيرة: كقوله صلى الله عليه وسلم عن صحابته: «أقضاهم علي» - ابن أبي طالب رضي الله عنه - لحذقه وولعه بالقضاء، و«أقرأهم أبي» - ابن كعب رضي الله عنه - لصحة وإحكام قراءته للقرآن، و«أفرضهم زيد» - ابن ثابت رضي الله عنه - لعلمه بالحساب وأحكام المواريث و«أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» رضي الله عنه. ومن هذا وذاك يتأكد لدينا كيف أولى الإسلام أهمية كبرى للتخصص في العمل وفقًا للمهارات التي يتميز بها كل شخص عن أقرانه.

ليكون ذلك دليلنا في توزيع الأعمال بين أفراد المجتمع، بما ينعكس ذلك على الإنتاجية وجودة الخدمات وتراكم المعارف والخبرات، فيستوطن الابتكار والإبداع في كل وظائف المجتمع بمستوياته المختلفة.

وذلك يحملنا نحو وضع الآليات لاكتشاف المواهب والمهارات وتطويرها ووضعها في الإطار الذي يضمن تنميتها بشكل مستدام، بما يمثله ذلك من إثراء للجميع من خلال الاستفادة من الميزة النسبية لكل فرد.

ومن ناحية أخرى نكون قد حققنا عدالة المسؤولية، فكيف يُسأل فرد عن تقصيره، وهو لا يمتلك مقومات النجاح للعمل المسند إليه؟!